البناء الإيقاعي في شعر دعبل الخزاعي

م.م خيرالله صخيل عبد الحجمي
المديرية العامة لتربية القادسية
مدرس في متوسطة كميل للبنين
khyryalhjmy@gmail.com
٠٧٨٢٥٥٣١٠١٠

الملخص
يشمل هذا البحث بنية الإيقاع في شعر دعبل الخزاعي، أي ما يتعلق بالعروض والقضايا الصوتية المتمثلة في البحور والقوافي من جانب، وبعض القضايا المشتركة بين العروض والبلاغة كالتكرار والتضمين وملاحظة الموسيقى الناتجة عن الحروف والالفاظ والتراكيب من جانب آخر . حيث استعمل الشاعر دعبل الخزاعي البحور المعروفة في الشعر القديم، ومنها الطويل والكامل والبسيط والمتقارب ، وركب أغلب القوافي التي نادراً ما وقع في عيوبها . وأيضاً شمل البحث بعض الأمور المشتركة بين العروض والبلاغة، ومنها : التصريع، والترصيع، والتكرار وغيرها ، وقد لوحظ أن هناك تآلف بين الألفاظ، والتراكيب، والحروف حيث أحدثت موسيقى متوازنة في شعر دعبل الخزاعي . تم اعتماد إحصاء البحور والقوافي وحروف الروي حيث ركّز البحث على بعض الجوانب الصوتية.
الكلمات الدالة :- الإيقاع ، دعبل الخزاعي ، البحور ، القافية

Rhythmic structure in the poetry of Da’bal Al-Khuza’i

A.L. Khairallah Sakhil Abdul-Hajmi
General Directorate of Education in Al-Qadisiyah
Teacher at Kamil Intermediate School for Boys

Abstract
This research includes the origins of poetic rhythm by Dabal Al-Khuzai, that is, what relates to issues of prosody, sound, and extension in phrases and rhyme on the one hand, and some common differences between prosody and rhetoric, such as: on the other hand, repetition, comprehensiveness, and musical notation in relation to letters, words, and structures.The poet Dabal Al-Khuzai used rhymes known in ancient poetry, including long, complete, simple, close, and complex rhymes, and most of the rhymes were rarely explicit. It also included research into some of the common matters between prosody and rhetoric, such as statement, networking, repetition, and others. There is poetry that combines words, structures, and letters, which creates balanced music in Al-Khuzai’s poetry. They relied on knowledge of the sea, rhymes, and letters of the novel, and focused on searching for a sound-absorbing body.
Keywords: rhythm, dub al-Khuzai, seas, rhyme

المقدمة
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ،وعلى آله الطيبين الأطهار وصحبه المنتجبين الأخيار.
لقد عرف الإنسان الشعر قديما، وقدّمه على كل الفنون ، فكان العرب يتغنّون به في أفراحهم وانتصاراتهم وأحزانهم وصار الشعر عندهم وسيلة يخلّد من خلاله مآثرهم ومفاخرهم ، والإيقاع من أكثر موضوعات الشعر إثارة للجدل والنقاش، وأقربها التصاقاً بالدرس الحديث، ودليل ذلك الجهود الجمّة المبذولة في

ميدانه، فلا يكاد ينصرف عن الكلام فيه كتاب أو بحث يزعم لنفسه الجِدّة، سواء أكان ذلك الكلام مُفصّلاً مستقصياً أم كان سريعاً خاطفاً.

إن الدافع الرئيسي إلى اختيار البناء الإيقاعي في شعر دعبل الخزاعي لم يكن الإعجاب بشعره فحسب، بل كان ذلك عاملاً ذاتياً في الاختيار، أمّا العامل الموضوعي فكان خصوبةَ شعر الرجل ، فضلا عن عدم وجود دراسة تطرُقت إلى البناء الإيقاعي في شعره.

ولعل الإشكال الذي يطرح في البحث هو عن ماهية الإيقاع ، وكيف وظفه الشاعر دعبل الخزاعي في شعره سواء أكان إيقاعا خارجيا أو إيقاعا داخليا ؟ أما بخصوص المنهج المتبع في البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي،

تناولنا في هذا البحث البناء الايقاعي للشاعر الكبير دعبل الخزاعي وقُسم البحث الى مبحثين تناول الأول تضمن حياة الشاعر والتعريف بالمفاهيم وتضمن دراسة إحصائية للبحور والقوافي التي كتب عليها الشاعر شعره .

أما المبحث الثاني تضمن بعض عيوب القافية، وتضمن القضايا البلاغية ذات العلاقة القريبة من العروض والتي تهم الموسيقى والايقاع .

المبحث الاول

حيـاته :

يعدّ دعبل الخزاعي شاعراً بارزاً من شعراء العصر العباسي مع إنه لم يتلقَ الاهتمام الكبير الذي تلقاه بعض الشعراء من قبل الدارسين ربما لأسباب مذهبية او سياسية .

ودعبل الخزاعي هو : "دعبل بن علي بن رزين من خزاعة ويكنى ابا علي" [1] ولد سنة 148 هـ من أسرة عرف رجالها بالعلم ، فقد كان والده شاعراً ، واختلف في سنة وفاته ولكن على الأرجح إنـه توفي سنة 246 هـ وله من العمر 98 سنة [2] .

وهو من اصلٍ عربي نشأ في الكوفة في صحبة الشطار والصعاليك وتخرج في الشعر على مسلم بن الوليد واتصل بالرشيد وكان دعبل متعصباً لآل البيت ولهذا نقم على بني العباس وقد قضى به هجاؤه الى القتل في خلافة المتوكل [3] .

كان دعبل شاعراً مكثراً ، فقد جاء في الأغاني عن الجاحظ أنه قال: " سمعت دعبل بن علي يقول : مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه الا وأنا أقول فيه شعرا "[4] . ومع ذلك لم يصلنا ديوانه ولم يبقَ من شعره سوى اشتات مبعثرة في أماكن متفرقة من المصادر الادبية .

وقد جُمع شعره في ديوانين لكن سنعتمد على الديوان الموجود بين ايدينا والذي سنشير اليه في المصادر .

وسنقف في هذا البحث البسيط عند بنية الإيقاع في ضوء دراسة اسلوبية وأحصائية .

التعريف بالمفاهيم وإحصائية البحور والقوافي في شعر دعبل الخزاعي

الإيقاع : "مأخوذ من الميقع والميقعة : المطرقة . الإيقاع من ايقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها . والإيقاع ما يحدثه الوزن او اللحن من انسجام"[5] . وقد ربط السجلماسي بينه وبين الوزن فقال "الشعر هو الكلام المخيل المؤلف من اقوال موزونة متساوية عند الصرف مقفاة"[6].

إذن فالإيقاع يحدث الانسجام، ويبعث إحساساً في النفس، من خلال جرس الألفاظ وتناسق العبارات. ولو تمعنّا شعر دعبل الخزاعي لوجدنا هذا التناسق ولأدركنا فعالية الموسيقى الشعرية في قصائدهِ ، من خلال البحور الشعرية التي استخدمها والقوافي ؛ لذلك سنتناول تلك البحور والقوافي وما فيها من قضايا تتعلق

---

[1]- الشعر والشعراء ابن قتيبة ج/ 849

[2]- الاغاني للاصفهاني ج 18 / 47

[3]- تاريخ الآدب العربي حنا الفاخوري ص 501

[4] - الأغاني للأصفهاني ج١٨/ ٤٤

[5] - معجم مصطلحات النقد العربي القديم / ص 119

[6] المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع / ص٢٨١

بحرف الروي وبنية استعماله وعلاقته بالمعنى، وسنتطرق الى نماذج مختارة منه للشعر لها علاقة بالموسيقى الداخلية فيما يتعلق بالألفاظ والحروف والتراكيب .

– بحور الشعر ونسبة استعمالها في شعره

الوزن من أهم ركائز الشعر "والوزن هو صورة الكلام الذي نسميه شعراً ، الصورة التي يغيرها لا يكون الكلام شعر" [1] .

ونجد أن الشاعر دعبل الخزاعي نهج في شعره منهج القصيدة التقليدية منذ عصر ما قبل الإسلام ونظم شعره حسب البحور التي وضعها الخليل بن احمد الفراهيدي أحد أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض ومستنبطها إذ لم يسبقه اليها أحد [2] .

الأبحر وتفعيلاتها

قبل الدخول في إحصاء البحور التي استخدمها الشاعر ونظم عليها شعره، لابد من ذكر هذهِ البحور وتفعيلاتها ومفاتيحها حسب ما ورد في مصادر الأدب العربي:

1- البحر الكامل :

كمل الجمال من البحور الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعل

2- الرجز :

في أبحر الأرجاز بحر يسهل مستفعلن مستفعلن مستفعل

3- الرمل :

رمل الأبحر ترويه الثقات فاعلاتن فاعلاتن فاعلات

4- المتقارب :

عن المتقارب قال الخليل فعولن فعولن فعولن فعول

5- الوافر :

بحور الشعر وافرها جميل مفاعلتن مفاعلتن فعول

6- السريع :

بحر سريع ماله ساحل مستفعلن مستفعلن فاعل

7- الطويل :

طويل له بين البحور فضائل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل

8- البسيط :

إن البسيط لديه يُبسط الأمل مستفعلن فاعلن مستفعلن فعل

9- الخفيف :

يا خفيفاً حفت به الحركات فاعلاتن مستفعلن فاعلات

10- المنسرح :

منسرحٌ فيه يضرب المثل مستفعلن مفعولات مفتعل

11- المتدارك او المحدث :

حركات المحدث تنتقل فعلن فعلن فعلن فعل

12- المجتث :

إن جثت الحركات مستفعلن فاعلات

13- المقتضب :

اقتضب كما سألوا فاعلات مفتعل

14- المديد :

لمديد الشعر عندي صفات فاعلاتن فاعلن فاعلات

---

[1] - الكافي في العروض للشيرازي ص 4

[2] - صبغات النحويين واللغويين ص 47

15- المضارع :
تعد المضارعات مفاعيلن فاعلات
16- الهزج :
على الأهزاج تسهيل مفاعيلن مفاعيل
هذهِ الأبحر المشهورة جمعها الخليل بن احمد الفراهيدي وعددها خمسة عشر بحراً، ثم أضيف اليها بحراً آخر وهو المحدث لتصبح ستة عشر "أول من ألف الاوزان وجمع الاعاريض والضروب الخليل بن احمد "[1]

ومن خلال احصاء البحور الشعرية التي نظم فيها الشاعر نجد أن هناك تفاوت فيما بينها :-
1- الطويل : نظم فيه مائتين واربعة وثمانين بيتاً (284)
2- الكامل : نظم فيه مائة وثلاثة واربعين بيتاً (143)
3- البسيط : نظم فيه مائة واثنين واربعين بيتاً (142)
4- الوافر : نظم فيه مائة وأحد عشر بيتاً (111)
5- المتقارب : نظم فيه مائة وثمانية ابيات (108)
6- السريع : نظم فيه خمسة واربعين بيتاً (45)
7- الخفيف : نظم فيه ثمانية وثلاثين بيتاً (38)
8- الرجز : نظم فيه ثلاثة وثلاثين بيتاً (33)
9- المديد : نظم فيه واحد وثلاثين بيتاً (31)
10- الرمل : ونظم فيه اثنين وعشرين بيتاً (22)
11- المنسرح : نظم فيه عشرين بيتاً (20)
12- المجتث : نظم فيه ثمانية أبيات (8)
13- الهزج : نظم فيه ستة أبيات (6)
وعند تتبع القائمة التي نظمت فيها البحور حسب نسبة شيوعها لدى الشاعر دعبل الخزاعي وتحديداً في هذا الديوان الموجود بين ايدينا نجد ما يلي :-
1- نظم الشاعر أغلب شعره في البحور الطويلة ذات الثمان تفعيلات كالطويل، والبسيط واستخدم ايضاً البحور السداسية ذات التفعيلات الطويلة مثل الكامل (متفاعلن) ، والوافر (مفاعلتن) وهذهِ السمة من سمات الشعر القديم في العصر الجاهلي .
2- أكثر من النظم في البحر الطويل وهو من أجمل بحور الشعر.
3- هنالك بحور لم ينظم فيها الشاعر مثل (المضارع والمقتضب والمحدث)، وهناك بحور نظم فيها لكن نظمه لا يتعدى بعض الابيات، ولعل ذلك راجع الى ندرة هذهِ البحور في ذلك الوقت وعدم طرقها من قبل الشعراء إلا ما ندر، ولو تفحصنا الشعر العربي لوجدناها نادرة. توزع شعره بين الأغراض المعروفة ولكنه أكثر من الهجاء وخاصة هجاء بني العباس .
أما فيما يتعلق بالبحور المجزوءة فإن نظم الشاعر فيها كان قليلاً لم يتجاوز الستة والعشرين بيتاً موزعة كالآتي :-
1- مجزوء الرجز : خمسة عشر بيتاً (15)
2- مجزوء الخفيف : اثنا عشر بيتاً (12)
3- مجزوء الرمل : احد عشر بيتاً (11)
4- مجزوء الكامل : ثمانية ابيات (8)
5- مخلع البسيط : ثمانية ابيات (8)

[1] - العمدة لابن رشيق ص 88

من الملاحظ أن الشاعر قد طرق أغلب البحور الخليلية في مديحه، ورثائه، وهجائه . ومن اللافت للنظر إن أغلب هجاء دعبل الخزاعي جاء على وزن البحور الخفيفة كالبحر الوافر، والمتقارب فقال يهجو (من الوافر) [1] :

أرى مِنّا قريباً بيت زورٍ وزورٌ لا يزور ولا يزار
ولا يهدي ولا يُهدى إليه وليس كذاك في العرب الجوار

وقال (من التقارب) [2] :

رأيت غزالاً وقد أقبلت فأبدت لعينيّ عن مبصقهْ
قصيّرة الخلق دحداحةٌ تدحرج في المشي كالبندقة

(ب)- القوافي

القافية ركن آخر يقوم عليه الشعر " القافية شريكة الوزن ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية ، واختلف الناس في القافية ماهي فقال الخليل : القافية آخر حرف من البيت الى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، والقافية على هذا المذهب وهو الصحيح تكون مرة بعض كلمة ومرة كلمة ومره كلمتين" [3]

وقال الاخفش: " وهي آخر كلمة في البيت أجمع وإنما سميت قافية لأنها تقفو الكلام اي تجيء في آخره ومنهم من يسمي البيت قافية " [4] لكن المعروف من هذِهِ الوجوه قول الخليل والأخفش .

فقولــه :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من علِ

القافية عن الخليل (من علِ) كلمتين ، وعند الاخفش (علِ) كلمة واحدة .

ونظراً لأهمية القوافي في الشعر أحصينا الحروف في الروي في شعر دعبل الخزاعي بالنسبة للقافية وتناولنا بعض ما يتعلق بها من أمور وكآلاتي :-

التاء : أتخذها رويا في (تسع) قصائد ومقطوعات تحوي على (مائة وواحد وسبعين) بيتاً.
الباء : اتخذها رويا في (ست وثلاثين) قصيدة ومقطوعة تحوي على (مائة وثمانية وعشرين) بيتاً .
الراء : اتخذها روياً في (احدى وثلاثين) قصيدة ومقطوعة تحوي على (مائة وتسعة) ابيات.
الدال : اتخذها رويا في (ثماني وعشرين) قصيدة ومقطوعة تحوي على (تسعة وثمانين) بيتاً.
اللام : اتخذها روياً في (سبعة وعشرين) قصيدة ومقطوعة تحوي على (تسعة وثمانين) بيتاً .
النون : اتخذها روياً في (خمس عشرة) قصيدة ومقطوعة تحوي على (تسعة وسبعين) بيتاً .
الميم : اتخذها روياً في (ثلاث وعشرين) قصيدة ومقطوعة تحوي على (ثلاثة وسبعين) بيتاً.
العين : اتخذها روياً في (احدى عشرة) قصيدة ومقطوعة تحوي على (اثنين واربعين) بيتاً .
القاف : اتخذها روياً في (عشر) قصائد ومقطوعات تحوي على (اربعين) بيتاً .
10- الياء : اتخذها روياً في (تسعِ) قصائد ومقطوعات تحوي على (اربعين) بيتاً .
11- الطاء : اتخذها روياً في (اربع) قصائد ومقطوعات تحوي على (واحد وعشرين) بيتاً .
12- الهمزة : اتخذها روياً في (ست) قصائد ومقطوعات تحوي على (عشرين) بيتاً.
13- الفاء : اتخذها روياً في (تسع) مقطوعات تحوي على (عشرين) بيتاً .
14- الكاف : اتخذها روياً في (خمس) قصائد ومقطوعات تحوي على (عشرين) بيتاً.
15- الجيم : اتخذها روياً في (سبع) قصائد ومقطوعات تحوي على (ستة عشر) بيتاً .
16- الألف : اتخذها روياً في (ثلاث) قصائد ومقطوعات تحوي على (اربعة عشر) بيتاً .
17- السين : اتخذها روياً في (اربع) مقطوعات تحوي على (اثني عشر) بيتاً .
18- الهاء : اتخذها روياً في (خمس) مقطوعات تحوي على (احد عشر) بيتاً.

---

[1] - ديوان دعبل الخزاعي ص 74
[2] - المصدر نفسه ص 101
[3] - كتاب العمدة ج / ص 99
[4] - الكافي في العروض والقوافي ص 149

19- الحاء اتخذها روياً في (سبع) مقطوعات تحوي على (عشرة) أبيات.
20- الثاء : اتخذها روياً في مقطوعتين (اثنتين) تحويان على (ستة) أبيات .
21- الضاد : اتخذها روياً في مقطوعتين (اثنتين) تحويان على ستة أبيات .
22- الخاء : اتخذها روياً في مقطوعة (واحدة) حوت (ثلاثة) أبيات .
23- الصاد : اتخذها رويا في مقطوعة (واحدة) حوت (ثلاثة) أبيات .
24- الزاي : اتخذها روياً في مقطوعة (واحدة) حوت بيتين (اثنين) .
25- الشين : اتخذها رويا في مقطوعة (واحدة) حوت بيتين (اثنين) .
26- الغين : لا يوجد
27- الواو : لا يوجد
28- الظاء : لا يوجد

بعد هذهِ الإحصائية يمكننا ان نستنتج عدداً من الملاحظات منها :-

1- نظم الشاعر دعبل الخزاعي (مائتين وتسعاً وسبعين) قصيدة ومقطوعة تحوي (الف وثمانيةَ عشرَ) بيتاً حسب ما موجود في الديوان الذي بين ايدينا .
2- الحروف الأكثر شيوعاً عند الشاعر دعبل الخزاعي هي (التاء والراء والياء والدال) .
3- نلاحظ إنه رَكِبَ أغلب القوافي وأجاد فيها .
4- لم نجد أنه كتب في قافية (الغين والظاء والواو) ربما هذهِ القوافي من ضمن شعره الذي لم يصل الينا.

نجد ان الشاعر ركب أغلب بحور الشعر المعروفة والقوافي، ومن الجدير بالذكر إننا عملنا هذهِ الإحصائية وفقاً للقصائد والأبيات الموجودة في ديوانه وقد تجنبنا الخوض في الشعر المنسوب له .

من أهم القوافي التي استعملها دعبل الخزاعي هي قافية (التاء) ومن الجدير بالذكر أن تائيته الخالدة التي ذكر فيها ما أصاب أهل البيت (عليهم السلام) من مصائب وكوارث تصدح بهذهِ القافية، فلو تتبعنا القصيدة لوجدنا إنه استخدم فيها جمع المؤنث السالم بكثرة وتكاد تكون تقتصر عليه مثل :(عرصات) جمع عرصة وهي كل بقعة بين الدور الواسعة ليس فيها بناء [1] كما في قوله :

على العرصات الخاليات من المها سلام شج صب على العرصات [2]

وايضاً (الخفرات) ومعناها: "الحياء خفِر الإنسان خفراً فهو خَفِرٌ من باب تعب والاسم (الخفارة) بالفتح هو الحياء والوقار" [3] حيث جاءت في البيت :

فعهدي بها خَضر المعاهد مألفاً من العطرات البيض والخَفِراتِ [4]

المبحث الثاني

عيوب القافية :-

1- الإبطاء " وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة فإن زادت فهو اسمج فإن اتفق اللفظ واختلف المعنى كان جائزاً ... والإبطاء من المواطأة اي الموافقة" [5] قال تعالى: ((لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ)) [6] اي ليوافقوا وقد ورد عند دعبل الخزاعي توافق في المعنى واللفظ في بعض القوافي منها قوله وهو يهجو مالك بن طوق :

لاحدّ أخشاه على من قال : أمك زانية
يا زاني ابن الزاني ابـ ـن الزاني ابن الزانية [7]

فضلاً عن التكرار الموجود في البيت .

---

[1] - مختار الصحاح للرازي ص 178
[2] - ديوانه ص 38
[3] - المصباح المنير للفيومي ص 175
[4] - ديوانه ص 38
[5] - نقد الشعر قدامة بن جعفر ص 182
[6] - التوبة – الاية 37
[7] - ديوانه ص 142

السناد :- هو" أن تختلف القوافي نحو نقِيب وعيْب وقرَيب "[1]
والسناد " اختلاف ما يجب مراعاته قبل من الحروف والحركات" [2]
وهو على عدة أنواع، لكن سنكتفي بنوع واحد لكل من الحروف والحركات فيما يتعلق بالحروف مثلاً :-
سناد التأسيس :- "وهو أن يكون أحد البيتين مؤسساً والأخر غير مؤسس "[3] كما في قول الشاعر :

كأنني رحتُ منه حيث نوّلني بمدمج الصدر منه متنيهِ مقدودِ
كأن اعضاءهُ في كل مكرمة يُنزعنّ مستكرهاتٍ بالسفافيدِ [4]

(فالسفافيد) مؤسس بالألف والبيت الأول غير مؤسس.
فيما يتعلق بالحروف :-
سناد الحذو :- هو "اختلاف حركة الحرف قبل الروي المطلق وهو شائع" [5]
كما في قولــه:

فعودك من خدع مورق ووداديك من علل مُخِصبُ
فإن كنت تحسبني جاهلاً فأنت الأحق بما تحسَبُ [6]

فما قبل الردف في البيت الأول مكسور والثاني مفتوح.
3- التضمين :- هو "أن تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثاني "[7] كما في قوله :

فإذا سكنت روعتـه ورعى مقلتيه فمي
عادلي قطب السرور كما كنت معتاداً على القدمِ [8]

القضايا المتعلقة بالموسيقى والايقاع
من القضايا المتعلقة بالموسيقى والايقاع وجدنا عدة أمور منها :
أ- التكرار : " الكر الرجوع الى الشيء ومنه التكرار وكرّ عنه رجع وكرر الشيء أعاده مرة بعد أخرى"[9] .
والتكرار هو "أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى ام مختلفة"[10]
وفي شعر دعبل الخزاعي نجد أن التكرار سمة شائعة سواء تكرار الكلمات أو الحروف ومنه قوله :

عليَّ رقى كتف النبي محمدِ فهل كسّرَ الأصنام خلق سوى علي [11]

ونجد ذلك ايضاً وبكثرة في شعره مثل قوله :

عللاني بسماع وطلا وبضيفِ طارق يبغي القرى
نغمات الضيف أحلى عندنا من ثغاء الشاء او ذات الرغا [12]

وإن تتبعنا الأبيات الأخرى نجده يكرر لفظة (الضيف) خمس مرات في ثمانية أبيات ما يحدث جرساً موسيقياً جميلاً ينشد القارئ وتطرب له الآذان .
وقوله ايضاً:

لا أبتغي سَقيا السحاب لها في مقلتي خلف من السقيا [13]

---

[1] - طبقات فحول الشعراء ج/1 ص 75
[2] - علم العروض احمد الهاشمي ص 148
[3] - علم العروض احمد الهاشمي ص 42
[4] - ديوانه ص 67
[5] - ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ص 143
[6] - ديوانه ص 30
[7] - الكافي في العروض والقوافي للشيرازي / ص 166
[8] - ديوانه ص 126
[9] - اللسان / كرر
[10] - معجم مصطلحات النقد العربي ص 173
[11] - ديوانه ص 119
[12] - ديوانه ص 20
[13] - السابق ص 21

حيث كرر (السقيا) في البيت مرتين . وهنالك الكثير من الامثلة والجدير ان نذكر قصيدته المشهورة في الفضل بن مروان وهو ينصحه فقد كرر كلمة (الفضل) في القافية (تسع مرات) حتى عده البعض إيطاءً ،ولكن البعض عدّه تلاعب بالألفاظ، وقد برع دعبل في ذلك براعة فائقة حتى جاء بلفظة (الفضل) في القصيدة كاملة (اثنتين وعشرين) مرة وكأنك عندما تقرأ هذهِ القصيدة للمرة الاولى تعد فيها شيئاً من التعقيد ،لكن الحقيقة غير ذلك فقد ذكر السكاكي " والمعقد من الشعر والكلام لم يذم لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة، بل لأن صاحبه يعثّر فكرك في منصرفه ويُشيك طريقك الى المعنى" [1] ويقول فيها :

نصحتُ فأخلصتُ النصيحة للفضل وقلت فسيرتُ المقالة في الفضل
الا أن في الفضل بن سهلٍ لعبرة إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضلِ
وللفضلِ في الفضل بن يحيى مواعظ إن اتعظ الفضل بن مروان بالفضلِ [2]

إلى نهاية القصيدة المكتظة بلفظة (الفضل) . وربما هذهِ القصيدة من القصائد المثيرة للجدل لكن لو تتبعناها لوجدنا أن الشاعر قد "ضرب عصفورين بحجر واحد" كما يقال: قدّم النصح من جهة وذم من جهة اخرى . ما يهمنا هو الانسياب الموسيقي مع كثرة التكرار للفظة (الفضل) مما يدل على شاعرية فذة لم يأتِ بها احدٌ من قبله كما يعترف هو:

ولم أر ابياتاً من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل والفضل [3]

ولا زلنا في التكرار حيث كررّ الشاعر الافعال والمشتقات في البيت الواحد حيث قال

إن عابني لم يعب إلا مؤدبه
ونفسه عاب لما عاب أدّابَهْ [4]

حيث كرر الفعل (عاب) في الشطر الثاني من البيت مرتين وقال :

له حاجب دونه حاجب وحاجب حاجبه محتجب[5]

في هذا البيت كرر اسم الفاعل (حاجب) أربع مرات.، ثم جاء به في صيغة اخرى ايضاً مشتق (مُحتجب) ومن جماليات الموسيقى الداخلية ايضاً انه كرر الحروف فجاءت متناسقة ذات موسيقى عذبة حيث يقول:

توفوا عطاشاً بالفرات فليتني توفيتُ فيهم قبل حين وفاتي [6]

حيث كررّ الفاء خمس مرات في هذا البيت وهذا البيت من قصيدته المشهورة في آل البيت (عليهم السلام) والمعروفة بالتائية، وقد قالها لما بايع الامام الرضا (عليه السلام) وايضاً إذا أمعنا النظر في البيت السابق سنجد حرف التاء الذي تكرر خمس مرات ايضاً حيث الموسيقى التي احدثها حرف التاء "وهو صوت شديد مهموس ويُحدث عند النطق به انفجاراً"[7]

وهو ايضاً "من الاصوات التي تستخدم للشدة والصلابة والقوة" [8] حيث جاء متآلفاً مع مناسبة القصيدة وما فيها من مآسٍ ومصائب حدث لأهل البيت (عليهم السلام) ؛ إذ يحتاج الموقف الى صوت التاء الانفجاري .

ب - الترصيع :- هو أن يكون حشو البيت مسجوعاً "تصير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع او شبيه به" [9] كما في قوله :

سوداء شوهاء لها شعرة كأنها نمل على مِسح [10]

---

[1] - معجم النقد العربي القديم ص 375
[2] - ديوانه ص 116
[3] - المصدر السابق
[4] - ديوانه ص 25
[5] - السابق ص 22
[6] - السابق ص 38
[7] - الصوت والصرف ص 30
[8] - المصدر السابق ص 22
[9] - نقد الشعر ص 8
[10] - ديوانه ص 57

نلاحظ توافق سوداء و شوهاء مما يحدث رونقاً وجمالاً موسيقياً في البيت .وقال ايضاً :

فلما إن سقوا درجوا ودبوا وزادوا حين جادهم العهاد [1]

الشاهد سقوا ودرجوا ودبوا وزادوا .

ج - التصريع :- ما يلفت النظر في شعر دعبل الخزاعي هو التصريع هذهِ الظاهرة الصوتية التي أعتمد عليها الشاعر وهو فن التزمه معظم الشعراء القدماء "أما التصريع هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته". [2]

ومن امثلتهِ :

تجاوبن بالأرنان والزفرات نوائح عجم اللفظ والنطقات [3]

حيث يعطي التصريع جمالاً موسيقياً للقصيدة من خلال التوازن اللفظي بين العروض والضرب في البيت الواحد في الزفرات والنطقات

ومن امثلتهِ ايضاً قوله:

أما آن أن يعتب المذنب ويرضى المسيء ولا يغضب [4]

حيث توافق اللفظ في مقطعي نبُ في نهاية كلمة المذنب وضبُ في نهاية كلمة يغضبُ.

وهكذا نجد أن الشاعر دعبل الخزاعي أهتم اهتماماً كبيراً في اختيار قوافيه حيث قال وقد حُجب عن باب مالك :

لعمري لئن حجبتني العبيدُ لما حَجبتْ دونك القافية
سأرمي بها من وراء الحجاب شنعاء تأتيك بالداهية
تصمُ السميع وتعمي البصير ويسأل من مثلها العافية [5]

النتائج

يمكن ان نستنتج من هذا كله هذهِ الملاحظات :-

١ – الإيقاع هو المادّة الصوتية التي يقوم عليها الشعر وهو من أهم أركانه ، وألصقها به خصوصية، وينقسم إلى ايقاع خارجي ثابت ، وإيقاع داخلي متغير.

٢ - ان الشاعر دعبل الخزاعي استخدم في شعره الاوزان القديمة التي أشار اليها الخليل بن احمد الفراهيدي (170 هـ) حيث جاءت قصائده ومقطوعاته على معظم بحور الشعر القديم

٣- استعمل دعبل الخزاعي البحور الشائعة مثل الطويل والكامل والبسيط والوافر وهذا هو نهج القدماء وقد اكثر من النظم في البحر الطويل ولكنه لم ينظم في بحر المقتضب والمضارع والمتدارك . اما بحر المجتث والمنسرح كان نظمه فيهما قليل جداً .

وايضاً نظم بعض شعره على البحور المجزوءة واحتل الرمل مكاناً بارزاً فيها مع قلة نظمه في المجزوء

٤- استخدم دعبل الخزاعي ايضاً الرجز واستخدمه في اغراض متعددة

٥- أغلب شعره كان في هجاء العباسيين ومدح ورثاء آل البيت (عليهم السلام) وقد استخدم البحور الطويلة للأغراض الجادة كالطويل وخاصة في تائيته المشهورة في آل البيت (عليهم السلام) واستخدم البحور الخفيفة في الهجاء والسخرية كالوافر والمتقارب

٦- ركب دعبل الخزاعي اغلب قوافي الشعر وخاض فيها

٧- كان للتكرار وجود بارز في شعره حيث اضاف موسيقى رائعة لقصائده

٨- شاعر متمكن جداً من قافيته وأوزانه مع ضياع اغلب شعره ولكن قلة ما موجود من قصائد ومقطوعات له فقط برع في صياغة شعره وكساه موسيقى عذبة سهلة النطق على اللسان خفيفة على الآذان ذات جرس جميل .

---

[1] - السابق ص 61
[2] - العمدة في صناعة الشعر ص 114
[3] - ديوانه ص 38
[4] - السابق ص 30
[5] - ديوانه ص 141 – 142

المصادر والمراجع

المصادر

ابن رشيق القيرواني ت (463 هـ) العمدة في صناعة الشعر تصحيح محمد بدر الدين الحلبي – مطبعة السعادة / مصر ط1، 1907

ابن سلام الجمحي ت (231 هـ) طبقات فحول الشعراء شرحه ابو فهد محمود محمد شاكر دار المدني بجدة، ١٩٨٠م

ابن قتيبة ابو محمد بن عبد الله بن مسلم الكوفي ت (276 هـ)، الشعر والشعراء تحقيق احمد محمد شاكر – دار المعارف ، ١٩٥٨م

ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الانصاري ت (711 هـ) لسان العرب تحقيق امين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي – دار احياء التراث العربي – بيروت لبنان، ط٣ ، ١٩٩٩م

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاندلسي ت (379 هـ) طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – مصر – ط 2، ١٩٧٣م

ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ت (502 هـ) الكافي في العروض والقوافي – تحقيق الحساني حسن عبد الله مكتبة الخانجي – القاهرة – ط 4 – 2001

ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني ت (356 هـ) الأغاني تحقيق د. إحسان عباس وآخرون – دار صادر – بيروت – ط 1 – 2001

ابو الفرج قدامة بن جعفر ت (327 هـ) نقد الشعر، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية – لبنان، ط١ ، ٢٠٠٦م.

احمد بن محمد المقري الفيومي ت (770 هـ) المصباح المنير تحقيق د. عبد العظيم الشاوي – دار المعارف – ط 2 – 1977م

أبو محمد القاسم السجلماسي (١٣٠٤ه) ، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، الرباط ، ١٩٨٠

محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازاي : مختار الصحاح، اخراج دائرة ، المعاجم في لبنان مكتبة لبنان، 1986

ب- المراجع

1- الخزاعي دعبل بن علي – ديوانه شرحه حسن حمد ، دار الكتاب للنشر ، بيروت ط 1 ، 1994

2- الفاخوري حنا – تاريخ الأدب العربي دار اليوسف للنشر، بيروت – لبنان ، د.ت

3- مطلوب احمد – معجم مصطلحات النقد العربي القديم ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، 2001

5- الهاشمي أحمد ، العروض الواضح وعلم القافية – دار القلم ، دمشق ، ط 1، سنة 1997

6- الهاشمي أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، تحقيق علاء الدين عطية مكتبة البيروتي ط٣، 2006